الجمهورية التونسية
RÉPUBLIQUE TUNISIENNE
وزارة الشؤون الثقافية
MINISTÈRE DES AFFAIRES CULTURELLES
CNCI
المركز الوطني للسينما والصورة
Centre National du Cinéma et de l'Image
JCC 2021
أيام قرطاج السينمائية
Journées Cinématographiques de Carthage
Carthage Film Festival

الدورة 32 - العدد السادس- الجمعة 05 نوفمبر 2021

يومية الأيام

من أفلام المسابقة الرسمية:«عصيان» للجيلاني السعدي

كلنا مغتربون...
حين يكون المصير مجهولا

السينما الليبية:

بين واقع «عدمي» وآفاق رحبة خلاقة

شريط «منامة» لرجاء العماري

غفران ووعود الرّبيع

من أفلام المسابقة الرسمية:«عصيان» للجيلاني السعدي

كلنا مغتربون... حين يكون المصير مجهولا

أربعة أشخاص يلتقون في ليلة شتاء اشتدت فيها المظاهرات، لا يهم إن كانوا هاربين من معيشهم اليومي أو مطرودين من مكان ما... طردوا منه، الأهم انعتاقهم من كل القيود الاجتماعية والمادية والنفسية والأخلاقية إذ لا شيء يعني أكثر من التحرر حتى وإن كانت الجريمة هي السبيل.

تبر النعيمي

امرأة طردها زوجها من البيت، كهل حرمته طليقته من رؤية ابنته، شاب يهرب من بطش منحرفين وشيخ مُقعد يلفظه أبناؤه إلى الشارع. وفي الشارع يلتقون، مجبرين على البقاء معا لمواجهة المخاطر في مجتمع أعلن العصيان فاختاروا هم أيضا العصيان.

أحداث الفيلم تنطلق في الليل وتنتهي به، ليلة واحدة كانت كافية لقلب حياة هؤلاء الذين تمردوا على حياتهم وعلى كل النواميس. وبين الظلمة والضوء كانت كاميرا جيلاني السعدي تصور هذا التغيير الزمني كما تنقل تفاصيل العلاقة بين الشخصيات الأربعة التي يحكمها النفور والعداء إن كانت المنفعة شخصية، والتقارب والتعاون إن كانت المصلحة مشتركة.

في تجوالهم بين الأحياء الراقية أحيانا والشعبية أحيانا أخرى كانت تتراءى لهم تونس جديدة في كل مرة وهي تخرج من تحت الأرض فيسعدوا برهة قبل أن يجرفهم الطوفان ليقفوا من جديد أمام واقعهم.

ويعترف المخرج أن الوضع العام في البلاد حين صور الفلم منذ سنة قد أثر على العمل لأنه تأثر به. فقد أدار كاميراه في ليل فُرض فيه حظر التجوال، حين كان مثل أغلب التونسيين يجهل مصير البلاد وما يزال. وأكد انه، في «عصيان» لا يصور بالضرورة حياة المهمشين. كما فعل في «خرمة» و «عرس الذيب» فلم يعد هناك معنى لكلمة مهمشين في مجتمع يعيش أغلب أفراده ظروفا صعبة ويتطلّع إلى المستقبل بغموض في الرؤية حسب قوله.

مرة أخرى يؤدي محمد قريع دورا رئيسيا في فلم للجيلاني السعدي ليكون رابع أدواره عند مشاركته في أول أفلام السعدي الطويلة «خرمة» ثم «عرس الذيب» و«وينو بابا». ويقول قريع إنه لا يعلم سر اختياره لكن تجمعه علاقة صداقة و«عشرة» مع مخرج يتعامل مع الممثلين كشركاء في العمل. ونحن نقول ان السعدي ربما يجد في قريّع ملامح الشخصيات التي يكتبها في أفلامه.

وبعد هذه التجارب والسنين من العمل مع جيلاني السعدي يؤكد محمد قريع أن أفلامه تميزها الواقعية والتغريب في آن، وهي تثير أحاسيس المشاهد كما الممثل «فالعمل مع السعدي ليس سهلا إذ لا يمكن بحال تجاوز التأثر النفسي للممثل حين تجسيد الدور في أجواء من الظلمة والقتامة « وهو ما يتطلّب حرفية عالية واستحضار أدوات تمثيل خاصة.

وقد لاقى فيلم «عصيان» في عرضه الأول ضمن أيام قرطاج السينمائية إقبالا جماهيريا كبيرا كما أنه مرشح لنيل التانيت الذهبي في قائمة الأفلام الروائية الطويلة لهذه الدورة. ويؤكد المخرج أن أكثر ما يعنيه هو أن يلقى الفيلم مثل هذا الإقبال عند عرضه في القاعات لاحقا مباشرة بعد المهرجان.

نذكّر أن فيلم «عصيان» كان أيضا من بين الأفلام التي وقع اختيارها للعرض ضمن قسم «أيام قرطاج السينمائية في السجون» وذلك صبيحة الخميس 4 نوفمبر بسجن القصرين بحضور المخرج الذي تابع الفيلم مع السجناء وحضر النقاش معهم وتفاعل مع قراءاتهم لما جاء في الشريط من أحداث ومضامين.

فريق تحرير النشرية:
ناجية السميري . نايلة الغربي . كمال الشيحاوي . هيثم حوال . إيمان عبد الرحماني . نزيهة غضبان . شيماء العبيدي . عادل عبيد .

نظرة على السينما الليبية

السينما الليبية: بين واقع «عدمي» وآفاق رحبة خلاقة

محاور وقضايا وإشكاليات عديدة تمت إثارتها في ندوة «السينما الليبية: الواقع والآفاق» التي انتظمت يوم أمس في إطار برنامج الدورة الثانية والثلاثين لأيام قرطاج السينمائية، فكانت فرصة لمعرفة واقع الفن السابع في هذا البلد المغاربي والاطلاع عما تزخر به من تجارب ومشاريع سينمائية ودرامية التي حجبت عنها الأحداث السياسية والصراعات المسلحة الأضواء فضلا عن إعادة البحث في الذاكرة الجماعية عن التاريخ المنسي والنبش في تجارب تونسية ليبية مشتركة في المجال وبحث الجيل الصاعد من السينمائيين الشبان عن فرص «التشبيك» لصنع آفاق أرحب خاصة في ظل استعداد عدد كبير من السينمائيين في تونس للانخراط في مشروع التأسيس والبناء لسينما ليبية جديدة وعلى أسس قانونية وتنظيمية وهيكلية فاعلة ورغبة عدد من صناع الفن السابع في بلدان المغرب الكبير في المساعدة على هذا المستوى بما يؤسس لسوق إنتاج وترويج مغاربية مشتركة نظرا لتقارب الثقافات والتاريخ.

هذا تقريبا ما نجح في طرحه ثلة من السينمائيين الليبيين الذين برزوا في السنوات الأخيرة بتقديم أعمال تلفزيونية وسينمائية نالت استحسانا عربيا ودوليا واسع النطاق. إذ تطرق المخرج والمنتج أسامة رزق إلى الصعوبات التي تواجهها صناعة السينما والدراما في ليبيا منذ الستينات إلى اليوم وطرح مسالة البحث عن فرص التسويق للأعمال الليبية على مستوى عربي خاصة في ظل انتشار منصات المشاهدة. وطرح المخرج سامر العامري الدور الذي تلعبه مؤسسة ليبيا للأفلام الفتية في تجميع صناع السينما في بلده وما تواجهه التجربة من صعوبات وتحديات فيما استند المخرج مهند لمين إلى الصعوبات التي تواجه عملية الإنتاج انطلاقا من تجربته الخاصة.

ويبدو أن قدر السينما بالأساس في هذا البلد الذي لا يزال يرزح تحت وطأة الحرب والهزات السياسية، مقارنة ببقية القطاعات الفنية والثقافية، هي أن تظل مكبلة وخاضعة «للسياسي» على مر السنين التي عقبت الاستقلال إلى اليوم. لذلك اختار بعض صناع السينما والناشطين في المجال الخروج من هذا «القمقم» الذي فرضته الأوضاع المحلية والبحث عن سبل تأسيس مسارات أخرى خارج «الأطر» الليبية بما قد يساهم في مساعدة الأجيال الصاعدة المختصة في المجال على كسر واجتياز هذه الحواجز الداخلية ووضع أسس ولبنات مشروع سينمائي نوعي قوامه زاد بشري مهيأ لخوض التجارب وطموحات لا حدود لها وفضاء جغرافي «خام» ومادة ثقافية وحضارية متفردة بذاتها.

الدولة والمشهد الثقافي

أجمع أغلب المتدخلين في هذه الندوة على أن المشهد الثقافي بجميع مكوناته وعناصره ظلّ مكبلا بيد الدولة. طيلة عقود مما أثر سلبيا على الحركة الثقافية عامة ومستوى الإبداع والإنتاج بشكل خاص. إذ أكد المخرج والمنتج أسامة رزق أن الحديث عن السينما في ليبيا يعد من قبيل «المحظور» اليوم. بعد أن عمد النظام الحاكم إلى بسط نفوذه على العمل الثقافي منذ الستينات إلى حد 2011 دون سبب مقنع. مستشهدا على ذلك بقوله: «سنة 1966 كانت في طرابلس وحدها 15 قاعة سينما وكانت مفتوحة للعروض لتشهد تناقصا تدريجيا وتصل إلى 4 فقط من بينها واحدة خاصة سنة 2010 لكن بعد الثورة استولت بعض الجهات المسلحة على هذه القاعات وتم القضاء على آخر أمل بوجود نشاط ثقافي. معتبرا أن شباب اليوم في حاجة ماسة إلى مشاريع ثقافية بما في ذلك السينمائية على اعتبار أن الحل الوحيد لإنقاذ الأجيال الصاعدة من ثقافة الموت والإرهاب والظلامية التي تستقطبهم. واعتبر أن تحكم الدولة في مسار الإنتاج السينمائي على امتداد عقود أثر على المنجز الثقافي من حيث الكم والكيف إذ هناك تقريبا بين 130 و150 فيلما وثائقيا منذ الستينات إلى اليوم وثلاثة أفلام طويلة فقط بما فيها أفضل إنتاجين عربيين «الرسالة» وعمر المختار».

جانب من فعاليات الندوة

في سياق متصل أكد مهند لمين أنه من خلال محاولته تأسيس شركة إنتاج كآلية ضرورية لبلورة مشروعه الذي يسعى لإنجازه وتكريسه في مجال السمعي البصري، اصطدم بجملة من الصعوبات التي تجعل التفكير في مثل هذه المبادرات من قبيل المستحيل وذلك لعدم وجود قوانين وتشريعات خاصة بمثل هذه المسائل على مستوى وزارة الثقافة الأمر الذي اضطره، وبعد محاولاته المتكررة لإيجاد حل وهو الهجرة إلى ألمانيا وبعث شركة إنتاج هناك كلفته وقتا ومصاريف إضافية. واعتبر أن هذه الوضعية كانت سبب هجر أغلب الناشطين في المجالات الفنية والثقافية الذين حافظوا على تمسكهم بما اختصوا فيه. في المقابل عديد الكفاءات والمشاريع والتجارب قبرت بسبب هذه العوائق لأن الدولة لم لا تولي أهمية للمشاريع الثقافية والفنية بعيدا عن آلية «الرقابة» والتحكم في التوجه والمحتوى. ويرى أسامة رزق أن الدولة الليبية بأنظمتها وحكوماتها المتعاقبة قبل 2011 وبعدها لا تعتبر السينما مسألة مهمة للشعوب الأمر الذي جعل السينما الليبية غائبة عن المهرجانات والتظاهرات الدولية.

منصات بديلة للإنتاج والتسويق

لئن أجمع المشاركون في هذه الندوة من سينمائيين شبان من ليبيا على غياب المهرجانات والتظاهرات الثقافية والسينمائية، إلا أن فتح الدورة الحالية لأيام قرطاج السينمائية المجال للسينما الليبية لا «تتكلم» وتعبر عن كينونتها بصوت عال عبر تخصيص قسم لعرض مجموعة من الأفلام الليبية من مختلف الأنماط ولتجارب مختلفة مشيرا إلى أن هذه الندوة تحسب للمهرجان. علما أن هذه الدورة الثالثة في تاريخ «الأيام» التي تسجل مشاركة السينما الليبية بعد أن كانت أول مشاركة للمخرج عبد اللّه الزروق في دورة 1977 وسنة 2019 بالفيلم الروائي القصير «السجين والسجان» لمهند لمين.

ودعا أسامة رزق إلى ضرورة البحث عن آفاق تعاون دولي مشترك مع تونس أو البلدان المغاربية على اعتبار أنها السوق الوحيدة التي يجب المراهنة عليها بين صناع الدراما والسينما في المستقبل للترويج والتسويق لأعمالها. مستندا في دفاعه عن هذا التوجه إلى ما وجده من صعوبات في محاولة الترويج لأعمال درامية وسينمائية من إخراجه أو إنتاجه في منصات مشرقية بتعلة «أزمة اللهجة» غير المفهومة على حد تعبيره من ناحية وتخوفه من تأثير الدعم على الإنتاج من جهات غربية أو خليجية في المستقبل على المحتوى والتحكم فيه بما قد يضر بالخصوصية المحلية أو المغاربية من ناحية أخرى. وبين أن بعث منصة «توك» استطاعت رغم حداثة بعثها تقديم مادة ثقافية ورياضية متميزة لجماهير مغاربية. وأكد في نفس الإطار مدى استفادة المشاريع والتجارب الليبية التي ظهرت بمبادرات فردية خاصة بعد 2011، من التجارب والكفاءات التونسية سواء في مستوى تنفيذ وإنجاز هذه الأعمال التي يتم تصويرها بتونس والمشارك في الإنتاج أو من خلال عمليات التدريب والتكوين التي تلقونها على أيادي كفاءات في كتابة السيناريو والإخراج وإدارة الممثل وغيرها.

المعوقات والأهداف

نزّل المخرج الشاب سامر العامري مبادرته ببعث «مؤسسة ليبيا للأفلام» التي كانت ولادتها بمهرجان قابس سنة 2013 ورأت النور سنة 2020 في إطار مبادرة مدنية مجانية لإنقاذ السينما الليبية ولم شتات المختصين في المجال من مختلف الأجيال والتوجهات في هذا «الهيكل» الذي سيكون دليلا لتجميع السينمائيين وهمزة الوصل بينهم وبين المهرجانات والتظاهرات سواء لمن اختاروا الاستقرار والعمل بالمهجر أو غيرهم من المولعين بالعمل في الشاشتين الكبيرة والصغيرة في ليبيا. وبين أنه نجح إلى حد الآن في تجميع انخراط أكثر من 250 شخصا بين مخرجين وكتاب ومصورين وغيرهم. وهو يعتبر هذه الخطوة على غاية من الأهمية في التأسيس لجيل جديد من السينمائيين عبر التلاقي والتكوين والتواصل مع المهرجانات والجهات الداعمة.

سينما في بلد دون سينما

من جانبه اعتبر المخرج الشاب مهند لمين أن الحديث عن سينما في بلد ليس به سينما ولا يؤمن سياسيوه بهذا الفن هو أشبه بالنحت على الصخر. ولكنه في المقابل عبر عن يقينه بالنجاح في تدارك جملة هذه الحواجز والصعوبات بفضل الإرادة القوية لمجموعة من الشباب المبدع من الجنسين والمولع بممارسة هذا الفن كهواية واحتراف، منوّها في الغرض بما وجدوه من تسهيلات في المجال من تونس التي كانت حاضنة لعديد التجارب والأعمال.
وبيّن أنه انطلاقا من نجاحه بتجربته الخاصة في تحدي كل الصعاب وبعث شركة إنتاج خارج حدود الوطن، تمكن بعدها من دخول عديد المهرجانات في العالم بإنتاجه الخاص والصعود على منصات التتويج، يمكن لحلم المجموعة أن يصبح حقيقة.
وأجمع كل المشاركين في الندوة من تونسيين وليبيين على أن الدخول في مشاريع وتقديم إنتاجات مشتركة أصبحت ضرورة تمليها الظروف والحاجة في ظل المتغيرات والتطورات المسجلة اليوم على مستويين إقليمي وعالمي. إذ أكد أسامة رزق أن العمل على الأرض الليبية اليوم يعد من قبيل المغامرة ومن المستحيلات لأسباب أمنية وتنظيمية فيما نوه بما وجده من دعم وتسهيلات في الغرض في تونس. وهو العامل الذي يجعله يدافع بشدة على ضرورة تطوير هذا المعطى خدمة للمشهد الثقافي والسمعي البصري في البلدين في مرحلة أولى ليكون مغاربيا في مرحلة ثانية.

نزيهة الغضباني

فاز بجائزة «شبكة»

«دار الباشا» لنوفل صاحب الطابع

مساهمة المرأة التونسية في بناء الجمهورية الجديدة

صرح المخرج التونسي نوفل صاحب الطابع الفائز بجائزة «شبكة» وقدرها عشرة الاف دينار يمنحها المركز الوطني للسينما والصورة أن مشروعه السينمائي الجديد وهو وثائقي/روائي طويل يحكي عن تأسيس معهد الفتيات بنهج الباشا سنة 1900 من قبل زوجة المقيم العام الفرنسي حيث كان التعليم في تلك الفترة مقتصرا على الذكور، كما يتعرض شريطه إلى تاريخ دخول اللغة الفرنسية إلى مناهج التعليم التونسي ويقول أنه خلافا لما يعتقد البعض أن وجودها كلغة ثانية ارتبط بالاستعمار الفرنسي للبلدان الافريقية فتونس اختارت تدريس اللغة الفرنسية قبل الاستعمار بأربعين سنة 1937 عندما تسلم أحمد باي الحكم وقبله كان التعليم في تونس يقتصر على الكتاتيب وجامع الزيتونة في غياب المواد العلمية ومع الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 شعرت تونس بالخطر الداهم وقرر حكامها تغيير المناهج التعليمية باستدعاء مدرسين أجانب لتدريس المواد العلمية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء ومعها دخلت اللغة الفرسية ويمكن اعتبار أن هذه الخطوة كانت حافزا للحداثة والتجدد الذين أسسا لتونس الحديثة.

طبعا مع التعريج على المدرسة الصادقية التي كانت تدرّس الذكور ومنها تخرجت أجيال عرفت آن ذاك بنخبة البلاد منهم الحبيب بورقيبة..

الفيلم يغوص في فترة ما قبل الاستعمار الفرنسي وحلاله ويركّز بالأساس على تأسيس معهد نهج الباشا وبداية تدريس الفتيات التونسيات وتقبّل المجتمع لهذه المسألة وتحوّله سنة 1947 إلى مدرسة اعدادية يهتم في قسم منه بتكوين الممرضات كيفية التعاطي معها وكذلك مساهمة تلميذات المعهد سنة 1952 في الوقوف ضدّ الاستعمار وخروجهن في مظاهرات تطالب برحيله عن البلاد...وكيف شكلت هذه المجموعة المثقفة في بناء الجمهورية الجديدة إثر الاستقلال.

نوفل اعتبر أن قسم «شبكة» الذي يشارك فيه لأول مرة واجهة مهمة تساهم في تقديم المشاريع وتساعد على انجازها.

يذكر أن نوفل صاحب الطابع سبق له أن أخرج «الكتيبة» (2002) و«الزيارة » (2014).

ناجية

«سواد عينيك» لطارق الصردي

في المسابقة الرسمية للأفلام الروائية القصيرة

...عن أزمة الكاتب والنفاق الاجتماعي

كاتب غارق في روتينه وحزنه يحاول بكل الوسائل تحرير نفسه من بؤس حياته اليومية، يسبح في عالمه الخاص راقصا بين الواقع والكاميرا... هذا ملخص فيلم «سواد عينيك» للمخرج الشاب طارق الصردي الذي يخوض به مسابقة الأفلام الروائية القصيرة... وفيه يطرح عدة إشكاليات تتعلّق بالحياة الزوجية وتفاصيل العلاقات الخاصة والنفاق الاجتماعي علاوة على أزمة المثقف في محيطه.

الفيلم ومدته 12 دقيقة ويؤدي فيه حلمي الدريدي شخصية الكاتب، وهو مقتبس عن رواية كتبها طارق ونشرت في فرنسا تحت عنوان «أنا السيد» وحوّلها إلى سيناريو شريط طويل تم اختياره ضمن القائمة الأولية لمهرجاني «كان» الفرنسي ومهرجان «ساندانس» الأمريكي سنة 2019... وقبل تقديمه كفيلم روائي طويل في قادم الأيام حوّله إلى شريط قصير يشارك في فعاليات الدورة الحالية للأيام السينمائية.

طارق الصردي كاتب ومخرج تونسي يعيش بين تونس وباريس، تكوّن في رحاب الجامعة التونسية للسينمائيين الهواة ومعها أخرج أفلاما من بينها «باسم الأب والابن»... بعث شركة انتاج سينمائي في فرنسا التي أنتجت فيلم «ماري كاج» للمخرج حلمي الدريدي الذي يعرض خلال الأيام السينمائية ضمن قسم نظرة على السينما التونسية.

لطارق أفلام أخرى تنتمي إلى صنف الوثائقي والتحريك شارك بها في عديد المهرجانات، مشاريعه السينمائية تشكك في البنى الاجتماعية والموروثات الإيمانية والعلاقات القمعية داخل النظام الأبوي... كما يحاول من خلال استعماله لتقنيات التصوير كسر بعض القوالب وخلق كاميرا متحررة لإيجاد رؤية بصرية تضجّ بالصور والدلالات.

ناجية السميري

في قسم نظرة خاصة على السينما التونسية

شريط «منامة» لرجاء العماري

غفران ووعود الرّبيع

بقلم: كمال الشيحاوي

تشارك المخرجة التونسية «رجاء العماري» في الدورة الجديدة لأيام قرطاج السينمائية بفيلم وثائقي يحمل عنوان» غفران ووعود الرّبيع» وذلك في قسم نظرة خاصة على السينما التونسية. ويتابع الشريط قصّة «غفران» الفتاة ذات البشرة السوداء والخمس وعشرين ربيعا التي اختارت أن تساهم في تغيير واقع النساء التونسيات وخصوصا الأقلية السوداء عبر المشاركة في الانتخابات التشريعية لسنة 2019.

كثير من الإهانة والتهميش وشيء من العنصرية

ينقل الفيلم أجواء الحملة الانتخابية وظروف حياة «غفران» بحي هلال المحاذي للعاصمة ويحكي بعض المواقف والعراقيل التي واجهتها خلال حياتها من مدينة قابس (موطنها الأصلي) إلى العاصمة كاشفا في أثناء ذلك شيئا مما راكمته من مشاعر وأفكار عن نفسها وعائلتها ومحيطها في علاقة بلونها «الأسود» .

عنصرية على الطريقة التونسية

ومع أن الكاميرا كانت مصاحبة لحركة «غفران» في تنقلاتها وزياراتها وجلساتها ومشاركتها لأبناء حيّها مشاكلهم وأفراحهم إلا أنّها لم تتمحور بالكامل حول هذه الشخصية بل جعلتها تعلّة للحديث عن أوضاع تونس التي تمرّ بظروف استثنائية بعد الثورة على مختلف الأصعدة. وقد برزت خلال الفيلم حالة الاستياء والتذمّر واليأس التي بدأت تغزوا نفوس التونسيين في علاقتهم بالطبقة السياسية والانتخابات ولم تكن تيمة «العنصرية» قوية في الفيلم ولم تأخذ حجما أكبر من حجمها في الواقع بل اتضح أن شعور التمييز والنقص والإهانة تتقاسمه فئات كثيرة من التونسيين مهما كانت ألوانهم. وهذا ممّا يحسب للفيلم.

وبقدر ما يظهر الشريط مناخ اليأس من السياسة والسياسيين فإنه يبرز ما يتمتّع به التونسيون من ذكاء وبراغماتية في تعاملهم مع الحملات الانتخابية على اختلاف أصحابها.ويبيّن من جهة أخرى أهمية العمل الجمعياتي والحزبي خاصّة وهو ما يبرز في شهادة «غفران» التي تحدّثت عن التحوّل الذي حدث في شخصيتها وما راكمته من تجربة حياتية وميدانية جعلتها أكثر انفتاحا وإيجابية برغم أنّها لم تفز في الانتخابات.

استكمال للمشروع السينمائي النسوي

ومع أن الفيلم من الصنف الوثائقي فإنه استمرار لمشروع «رجاء العماري» السينمائي الذي يمكن اعتباره دون مبالغة أحد التجارب الأشدّ جرأة وعمقا في مقاربة وضعية المرأة في السينما التونسية والعربية. وتكمن جرأة «العماري» في كونها لم تحصر نظرتها لمعاناة المرأة التونسية في سياق النظرة السوسيولوجية العامة لما يمارس عليها من ظلم وتمييز في الحقوق الاجتماعية والمهنية (كما يظهر في أفلام مخرجات مثل «مفيدة التلاتلي، وسلمى بكار» ومخرجين مثل «النوري بوزيد») وإنما ذهبت إلى أعمق من ذلك إذا اتسعت نظرتها لتبرز معاناة المرأة المطلّقة، والمرأة الأرملة والمرأة التي لم تتزوّج فيما تجبر عليه من كبت ومنع جنسي وعاطفي كثيرا ما يضطرّها لتتحوّل إلى جسد بارد وعنيف ومتشنّج وعدواني. وقد ظهرت هذه المشاغل والقضايا في أفلامها الروائية الطويلة «ستار أحمر» و«الدّواحة» و«جسد غريب».

من «ستار أحمر» إلى «الدّواحة» و«جسد غريب»

فقد التقطت في فيلم«ستارأحمر» بذكاء تعبير الأمّ «ليليا»/المطلّقة عن حاجاتها الجسدية بالرّقص أمام المرآة ولو سرّا داخل بيتها. كما تنبّهت بذكاء إلى ملل البنت من مبالغة الأمّ في العناية بها، ممّا يدفعها إلى البحث عن فضاءات أخرى تلبّي حاجتها للفرح والرقص والمتعة والتواصل، وقد وجدته في حصص الرقص الشرقيّ التي تواظب عليها، وفي سهرات أعياد الميلاد والمناسبات التي تجمعها بأصدقائها وزملائها، بعيدا عن مناخ البيت الذي طبعته الأمّ الحزينة بملامحها وصمتها الموجع. ويجعلنا البناء الخرافيّ للسرد الفيلميّ في شريطها الثاني «الدوّاحة» نتفهّم الفعل العنيف والإجراميّ الذي يمكن أن توصل إليه عقلية دفن الرغبة ومنعها، فقد اندفعت البنت إلى قتل أمّها وأختها الكبرى اللتّان كانتا تمنعانها من الخروج ومن الحرّية، ومن التعبير عن جوعها المادّيّ والعاطفيّ والجنسيّ.. وهكذا يبرز فيلم «الدّواحة» أنّ المنع والرفض يؤجّجان الرغبة ويذكيانها أكثر ممّا يطفئان. فالرغبة لم تنته من عالمي الأمّ والبنت الكبرى، إذ الأمّ تمارس نوعا من الامتلاك الذكوريّ المتلذّ على البنت، كنوع من التعويض عن حرمانها، وتتزيّن في غنج أمام المرآة، بينما تمارس البنت الكبرى الاستمناء كنوع من التعويض عن حرمانها الجنسيّ. ويواصل فيلم «جسد غريب» الحفر في هذه المشاغل عبر قصّة أخرى صوّرت لُبس الأجساد التي تعيش على وقع غربة سواء كانت جغرافية أو شخصية، غربة المرأة والرّجل بين الرفض والقبول، وبين الحيرة والغموض، كلها تباينات حملتها الشخصيات الرئيسية الثلاث، شخصيات تاهت في بحر الضياع قبل أن تطفو على السطح في موعد متجدد مع الحياة.

على سبيل الخاتمة

ويمكن القول إنّ تجربة المخرجة «رجاء لعماري» هي امتداد لتجارب مختلفة في السينما التونسية، وهي سينما تتميّز على قلّة إنتاجها بجرأتها الفكرية في طرح المواضيع المزعجة للذهنية الأخلاقية المحافظة التي تكاد تهيمن على إطار التلقّي العام للجمهور خصوصا للسينما، ولقد تمكّنت هذه السينما بفضل أعمال مخرجيها المتميّزين من أمثال («النوري بوزيد»، و«فريد بوغدير»، و«سلمى بكار»، و«مفيدة التلاتلي» وآخرين) من أن تكون رائدة عربيا في بلورة رؤية فكرية وجمالية، تعتبر أنّ التحرير السياسيّ والفكريّ لا يمكن أن يكتمل، وأن يكون ناجعا، سوى بتحرير العقل والجسد والخيال، تحرير المرأة والرجل في نفس الوقت ، لأنّه لا يمكن الدفاع عن بلدان، أو تحقيق نهضة، بمجتمعات ما يزال أفرادها يعانون أغلال الكبت والقهر والاستبداد والتمييز بمختلف أشكاله